

يوميات طبيب في مستشفى 7 أكتوبر

ملاحظة: إن أحداث و شخصيات هذه القصة من وحي خيال الكاتب و أي تشابه بينها و بين أحداث أو شخصيات حقيقية هو بمحض الصدفة....

كباقي خلق الله تستيقظ في الصباح الباكر مع إشراقة الشمس و كباقي خلق الله تتوضأ و تصلي و تتناول إفطارك و لكن بخلاف كل خلق الله فإنك لا تدعو الله أن يكون يومك سعيداً و أن يفتح لك فيه كل أبواب الرجاء , فكل ما تريده أن يكون يومك أقل تعاسة من سابقه.... و في رحلة توجهك نحو التعاسة الأقل تترك سيارتك متجهاً الى مقر عملك ...فأنت و بكل فخر طبيب باطنة في مستشفى 7 أكتوبر.

و عندما تقترب رويدا رويدا من المستشفى و تدرك انه لا يزال قائما رغم انف التقارير الهندسية و انف "الكاتر بيلر" , تدعو الله دعاء الاقتراب من مستشفى 7 أكتوبر و هو أن لا تضطر إلى ركن سيارتك في احد شوارع البلاد كما فعلت بالأمس , و أن يهبك الله مكانا لسيارتك , و عندما تقترب من بوابة المستشفى و بعد سيل من النظرات يرشقتك بها حارس البوابة الأمامية ليتأكد من هويتك يفتح لك باب السعد فتحمد الله على أن موقف السيارات داخل المستشفى مفتوح اليوم و أن نظرات التحقق من هويتك دليل على أن الدخول للعاملين فقط و لهذا ستجد بالتأكيد مكانا لسيارتك, لكنك سرعان ما تدرك أن الحلم هو نصف حياتك و النصف الآخر "جايبك في الطريق" و عليك أن تصدق أن كل السيارات الموجودة داخل المستشفى هي للعاملين فيه بما فيها سيارات الأجرة و نقل اللحوم و في لمح البصر تجد أنك قد قمت بدورة كاملة حول المستشفى و وصلت إلى البوابة الخلفية (لا بد أن ماجلان عمل يوما طبيبا في هذا المستشفى فالسما لا تمطر أفكاراً) و بعد تحية حارس البوابة الخلفية الذي يفتح لك الباب للخروج بعد أن يرشقتك بنظرات الشفقة (طبعاً سيفتح لك "فردة" واحدة فقط من الباب ليتأكد من أن رخصة قيادتك لم تكن بالواسطة) , تبدأ رحلتك للبحث عن مكان لسيارتك خارج المستشفى و ما أن تصل ثانية إلى واجهة المستشفى تلمح في الأفق مكانا لسيارتك في الموقف المقابل للمستشفى و بعد أن تفرك عينيك ثلاث مرات لتتأكد من صحة ما ترى تتجه فوراً بسيارتك "للزقوب" في هذا الموقف قبل أن يغير حظك رأيه و تشعر أن سيارتك تتهدى في سيرها نحو الموقف كأنها ترقص فرحاً و أن كل من حولك يغنون "اتمخطري يا حلوة يا زينه" و تقتنع أنك كنت سوداوياً و متشائماً أكثر من اللازم و أن حظك اليوم لن يكون ككل الأيام فالיום يوم سعدك بالتأكيد (توا اييانلك) و عندما تطفئ محرك سيارتك تجلس قليلا بداخلها لتستمتع قليلا بحلاوة الانتصار التي طال انتظارها و بعد أن تنظر حولك إلى صفوف الطوافين حول المستشفى تدرك أنك حصلت على مكان لا يقدر بثمن (طبعاً ستدفع الثمن لاحقاً).

و لأن اليوم يوم حظك على ما يبدو تتساءل عن أهمية أن تتلو دعاء الدخول إلى مستشفى 7 أكتوبر وهو أن تتضرع إلى الله العلي القدير أن لا يقابلك عند دخولك إلى باب المستشفى أي من أقاربك أو جيرانك أو أقارب جيرانك أو جيران أقارب جيرانك , و للأمانة فإنه في الغالب لا يقابلك أحد منهم لكن قد يصادفك الرجل الذي جلس في "المقعد" اللي جنبك في عشاء فرح ولد عمك من خمس سنين ليطلب منك خدمة "بسيطة" في المعمل أو الصيدلية أو قسم الأسنان و بعد أن تقوم بهذه الخدمة الصباحية اليومية "التزليطية" تبدأ في حشر جسمك بين الأجسام المتكدسة حول باب المستشفى و ما أن تصل إلى الباب مقدماً رجلك اليمنى على اليسرى و متمماً تعويذة الحظ التي لقيتها لك والدتك يفاجئك حارس الباب "وبين يا استاد" فتدرك أن هذا هو يومه الأول على الباب (في معظم الأيام يكون هو يومه الأول) و لذلك لم يتعرف عليك و قبل أن تفتح فمك لتعرف عن نفسك تسمع شخصاً آخر يخاطبه *تي تكتور هضا* (و تتمم في نفسك على الأقل استاد خير من هضا) فيعتذر لك بكل لطف و ما أن تدخل للمستشفى تكتشف أن ممراته "مليانه بالاستادية" فتبدأ في تلاوة دعاء المشي داخل مستشفى 7 أكتوبر و هو أن لا يكون بين هؤلاء "الاستادية" أي من أقاربك أو جيرانك أو أقارب جيرانك أو جيران أقارب جيرانك و أن تصل إلى قسمك قبل أن يطلب منك أحد المرافقين أو المرافقات "علق" التغذية أو "فك" التغذية لمريضه لأنه لم يجد الممرضة و لأنك "تزلطت تزلطت" ستبحث عن الممرضة و ترجوها فعل ذلك فخيرتها في ذلك أكثر منك بكل تأكيد فهي تقوم في اليوم الواحد بفك و علق التغذية لأكثر من 40 مريضاً.

و تتجه بعد ذلك مباشرة (أو هكذا تأمل) إلى الغرفة التي فيها معطفك الأبيض متمنياً و مبتهلاً إلى الله أن تجد دولابك المتهالك الذي يشاركك فيه 4 أطباء موجوداً في مكانه الذي تركته فيه بالأمس فهو قد تعود على الترحال من غرفة إلى أخرى في الأيام الماضية و بما أن اليوم يوم حظك فإنك ستجده في مكانه مع بعض التفاصيل الصغيرة و هي أن بابه مفتوح (و هي مرادف معتول) و لكن الحمد لله فمعطفك قد تركوه لك بجانب دولابك حتى لا تتهم أحداً بالسرقة.

و بعد أن ترتدي معطفك الذي كان أبيضاً و تقرر أن تبدأ مرورك الصباحي تفاجئك الممرضة "في مريض تعبان يا ريت اتشوفه قبل" فتتجه فوراً دون سؤالها عن حالته أو "تعبان كيف" لأن جوابها لن يزيد عن جواب والدتك عندما تطلب منك أن تشوف جارتكم "التعبانه" و لأن "تعبان" بلغة هذه الممرضة قد يكون معناها "قريب يموت" و حالما تصل إليه تجد الحاج الذي تجاوز السبعين ممداً في سريريه بلا حركه و عندما تتأكد بسرعة من وجود علامات الحياة في جسده (و هي عملية معقدة لم تستطع الممرضة القيام بها عندما شاهدت المريض) تسأل جمهور الجالسين داخل الغرفة "كنه شنو صارله" فيرد عليك أحدهم "الحاج في غيبوبة ما او عيش من أمس في الليل" فتدرد عليه متسائلاً "أنت المرافق اللي معاه؟" فيجيبك "لا.. المرافق طلعهوه بره المستشفى لأنهم ما يدخلوش في المرافقين" فتتسنى المريض و تكمل حوارك معه متسائلاً "امالا انت شنو اتدير هنا" فيجيبك بكل

منطقية "أنا المرافق امتاع المريض الآخر قالولي أقعد لأن مريضى تعبان بيبي مرافق" و عندما تدرك أن سرير مريضه "التعبان" خالي تتسائل بكل تعجب "وين مريضك؟" فيرد عليك بكل براءة " ماشي للحمام تو ايجي" و تنظر إلى باقي جمهور الجالسين في الغرفة متسائلاً " و أنتو شنو اتديرو هنا" فيجاوبك أحدهم و قد فهم سبب سؤالك " لا يا دكتور احنا مش مرافقين أحنا زوار اتراجو في المريض يطلع من الحمام"

و قبل أن يطلع المريض الذي جئت لنجدته من الحياة يفاجئك بسيل من التشجعات فتنادي عبثا على الممرضة التي تركتك وحدك في الغرفة (هي أصلا لم تدخلها، فقط وصلتك لغند باب الحوش) و عندما يناديها أحد المرافقين تسألك بكل برود "كلمتني يا دكتور" فترد "بسرعة جيبي حقنة فالسيوم" و بعد أن تغيب بعض الدقائق تعود لتخبرك أن الفالسيوم في الناركوتك (أي صندوق الأدوية المخدرة) و أن مفتاح الناركوتك عند السوبرفايزر (أي الممرضة المشرفة) و أن السوبرفايزر طالعة شوية تو اتجي (أي مش حتجي) و عندها تقوم بهز رأسك بقوة لتتأكد أن ما شعرت به للتو لم يكن وقوع إحدى "بلكات" المستشفى فوق رأسك (فذلك أمر كبير الاحتمال هذه الأيام) و إنما كان نتيجة ما أخبرتك به الممرضة، "باهي شنو ايصير تو" تخاطبها مطالباً أياها "اخلقيلي فالسيوم تو" و لأن المسكينة لا حول لها و لا قوة تذهب في رحلة البحث عن السوبرفايزر، "توا كانت في الجراحة"، شفقتها نازلة للمعمل، "من بدري اركبت للقسم" و بعد أن تدرك أن رحلة البحث عن السوبرفايزر أطول من بحث بشار عن أمه (للأمانة أقصر قليلا لأن أم بشار ما كانت عندها موبايل) تعود إليك "ما القيتهاش" و هي مدركة تماماً لخطأ تصرفها و لصواب طلبك فأنت لم تطلب منها البحث عن السوبرفايزر و إنما "خلق الفالسيوم" و هو أمر أسهل بكثير.

و تتفتح مداركها إلى فكرة عبقرية و هي أن تجلب لك الفالسيوم من العناية و لكنها تدرك مرة أخرى أنها أخطأت التصرف فهي في مستشفى 7 اكتوبر و ليست في الشارع والحصول على الفالسيوم له لوائح و قوانين و هناك تتعرض إلى سين و جيم من قبل سوبرفايزر العناية "شنو تبي فيه"، "مش عندكم فوق"، "خلي الدكتور ينزل ابوقع عليه" و بعد أخذ و رد (لديها كل الخبرة في ذلك فهي تقوم به بصورة يومية تقريبا) تحصل على حقنة الفالسيوم بعد أن توقع اتفاق الجمعة العظيمة مع طاقم العناية و تعود إليك مسرعة فتفاجئ بك و قد رفعت حالة التأهب من البرتقالي إلى الأحمر و أطلقت نداء إلى أفراد المشاركة بنقل المريض "فورا" إلى العناية، "الفالسيوم معاش تبيه؟" تخاطبك الممرضة بينما تلمح في عينيها بريق الدموع على جهودها الضائع "التشنج وقف، بس خلي الفالسيوم واتي مرات ايردله التشنج"، فترد عليك بكل أمل "انشالله".

وتمر عليك الدقائق دون أن يأتي أحد من أفراد التشاركية و تستغل الوقت للتأكد من ضغط المريض و نبضه و في أثناء ذلك يعود المريض الذي كان في الحمام فيطلب منك مرافقه بكل أدب و بكل ذوق ترى شوقنا ضغط الحاج يا دكتور"

و بعد طول انتظار تخبرك الممرضة بوصول أفراد التشاركية و هنا تبذل جهداً كبيراً في كبح جماح نفسك التي كادت أن تطلق زغرودة , لكن ذلك الشعور سرعان ما يتلاشى حينما يدخل عليك أحد أفراد التشاركية بالويل شير (أي الكرسي المتحرك) متسائلاً "وين المريض؟" و عندما تخبره أن المريض محتاج الى باريللا (أي نقالة) يرد عليك بالفطرة "الباريلا حاطين عليها مريض في العيادة..تبي نمشي انشوفها لك توا فاضية والا لا , دقيقتين بس" فترد عليه بالفطرة أيضا "لا و النبي, يستر بيتك خليك , شيله كيف ما تبي انشيله" و هنا تتفتح مدارك الممرضة عن فكرة عبقرية أخرى "انشيلوه بالسريير بكل" فيرد عليها "لا ممنوع..الإدارة قالت ما فيش سريير يطلع من الدار"

و ينتهي الأمر بالمريض فوق الكرسي المتحرك و يطلق فرد التشاركية صفارات الإنذار و ينطلق بالمريض متفادياً صفوف من الأسرة المكدسة في الممرات ليصل إلى باب المصعد و هناك تبدأ رحلة من الانتظار تنتهي بعدم القدرة على فتح باب المصعد رغم كل المحاولات "افتح يا بندق", "افتح يا باذنجان", "افتح يا كوسة" و لأن المريض حالته لا تحتمل انتظار سنباد لسبعة أيام حتى يكتشف أحدهم عبارة "افتح يا سمس" تطلب من أفراد التشاركية نقله عبر "الدروج" وهو عمل اعتيادي تعودوا القيام به كل يوم

و بعد أن تطمئن إلى وصول المريض إلى داخل العناية تبدأ في "حك" رأسك لتتذكر ما كنت تنوي القيام به قبل أن تناديك الممرضة "آه المرور...يللا نبو الراوند" و قبل أن تنهي كلامك تفاجئ بإحدى ممرضات العناية منادية "دكتور..انتو نزلتو مريض للعناية؟" و قبل أن تعترف أنت بهذا الجرم تكمل قائلة "باهي تعال شوفه و اكتبه العلاج لأن دكتور العناية مازال ما جاش" و لأنك "السكورطة الواتية" دائما تتجه نحو العناية و عند دخولك العناية تجد أن الطبيب قد وصل للتو لي طرح عليك السؤال المعتاد "ليش امنزلينه, مش عطيناكم فاليوم" و بعد مداوات قصيرة يفهم الموقف و لكن المشكلة "ما فيش سريير" و "المريض كان المفروض من أمس ينزل بس الله غالب العناية ملياته" , و هنا تنظر إلى الجدران من حواليك لتبحث عن أنظف مكان تخبط فيه رأسك" و لكن قبل أن ترتكب هذه حماقة تكتشف أنك كثير التشاؤم و أن اليوم هو يوم سعدك فتنادي إحدى ممرضات العناية "دكتور سريير سبعة ارستد" أي المريض في سريير رقم سبعة (الحمد لله مش السريير هو المقصود) قد فارق الحياة , و أنه كما كان حظك عظيماً في الحصول على موقف لسيارتك حصل مريضك أيضاً على مكان له في العناية.

و تعود صعوداً إلى القسم مزهواً بالإنجاز الضخم و دعوات الممرضات لك (خاصة ممرضات الروتة) على جميل صنيعك (لهن و ليس للمريض). " هيا يا سيستر نبدي الراوند" أخيراً تدخل أولى غرف وحدتك معتقداً أنك ستبدأ مرورك الموعود و لكن هيهات , يفتح باب الغرفة شخص و يسأل عنك بالاسم " ابوة تفضل" تجيبه فيرد " أنا ولد الحاج اللي نزلتوه للعناية, شنو حاله توا" طبعاً توا معاش قعد مرافق و لذلك سمحوا له بالدخول , "أسأل عليه جماعة العناية أنا شففته في القسم بس لما قالولي أنه تعبان فنزلته للعناية و هو مش من الوحدة امتاعي" معتقداً أنك قد أفحمته بالرد و لكن هيهات ثم هيهات فيرد عليك " سألت عليه العناية قالولي نركب تسألك أنت" و مرة أخرى تنظر إلى الجدران من حواليك لتبحث عن أنظف مكان "تخبط فيه راسك" و لأن اليوم يوم سعدك ينقذك في آخر لحظة حارس التشاركية الموجود بالقسم (و الذي رافق المرافق حتى باب الغرفة ليقبض عليك) فيقول له " هيا تو ننزل امعاك نسألو عليه حد في العناية"

و بعد عدد من التنهيدات تقرر البدء في المرور و تتذكر أنك لم تتلو دعاء المرور في مستشفى 7 أكتوبر و لذلك حصل ما حصل (و هو يحدث يومياً حتى مع الدعاء و لكن عند تلاوتك للدعاء تشعر على الأقل أنك درت اللي عليك) و بعد السلام على أول مريض و السؤال عن حاله تفتح ملف المريض باحثاً عن نتائج التحاليل التي طلبتها بالأمس فتجد الملف متخماً بأوراق التحاليل فلا تستطيع إخفاء ابتسامتك العريضة لأن ذلك يعني أن طلباتك كانت أوامر و تبدأ في قراءة النتائج لتحديد التشخيص : hemolysed, NA,QNS, repeat, MOO و لأنه لم يمر عليك في دراستك الطبية مرضاً واحداً يسبب هذه النتائج (باستثناء بختك المايل) و لأن حالة المريض تبدو مستقرة فنتائج التحليل مطابقة للنتائج التي أجريت له عند دخوله فإنك تقرر له الخروج مع إعادة التحاليل لاحقاً.

و تنتقل بعدها للمريض التالي الذي لا تجد في ملفه أي تحاليل فتسأل السؤال المعتاد " سحبتوله التحاليل؟" فتأتيك الممرضة بالجواب المعتاد " المفروض ساحبينله" فتسأل سؤالك المعتاد "نحن طلبناهن أمس ليش مش قاعدات في الملف" فترد بجوابها المعتاد " أنا ما مريتش امعاكم أمس" و عندما تدرك أن أسئلتك المعتادة لا تزال طويلة و أن أجوبتها المعتادة أطول وأن ممرضة المرور لهذا اليوم ليست هي من كان معك بالأمس و بالتأكيد لن تكون هي نفسها معك في الغد تقرر أن تتجه لأقرب جدار نظيف "تخبط فيه راسك" و لكن بما أن اليوم هو يوم سعدك فقبل أن ترتكب هذه الحماقة تدخل إلى الغرفة ممرضة أخرى لتسأل "عندكم مريض اسمه مطيوح المربوح" فتجيب عليها " ابوة كنه" فتجيبك " هذين تحاليله القيتهن في ملف مريض" فتحمد الله على نعمته و تشعر بالرغبة في معانقة مريضك و تهنته على سلامته من انتظار إعادة التحاليل.

و تنتقل إلى مريضك الثالث الذي قبل أن تحببه يبدأ في تحيتك على طريقته الخاصة "مستشفى المعفن", "ما فيش اميه", "التكييف خارب" و عندما تخبره بأن حالته جيدة و أمره مية مية و أنه سيخرج اليوم يبدأ في استجدائك لتبقيه "كم يوم آخر في المستشفى المعفن اللي ما فيش اميه و بدون تكييف" لأن عنده مشكله اجتماعية مازالت "ما انحلتش" و لأنك اكبر حلال مشاكل في المستشفى لا تجد بدأ من الموافقة لتنتقل سريعاً إلى المريض التالي الذي يحييك بكل حرارة و يشركك على جهودكم الجبارة الحمد لله اللي عيالنا ايعالجو فينا , جيتكم واصل حدي و توا الحمد لله" و قبل أن تضيق الغرفة بك يهمس طبيب الامتياز في أذنك "لصغته اليوم 200 على 140" فتنظر إلى ورقة العلاج محتاراً في أي نوع من أدوية الضغط ستضيفه إلى الأنواع الثلاثة التي كتبتها له في الأيام الماضية و عندما تصل إلى قرارك تخبره بأنك أضفت له علاجاً جديداً للضغط يضاف إلى علاجه الذي أخذه هذا الصباح , "بس اليوم ما جابولي شي" يرد عليك المريض فتنظر إلى الممرضة و بدون أن تنبس بكلمة واحدة تخبرك بأنها ستأكد من ممرضة الروتة ليش ما عطاتاش" فتخاطبها شوفيهما ليا توا" فتجاوبك "بس هي فصلت توا و ديوتيهما الجاي بعد أربع أيام" ثم تكمل حديثها "نتو شنو كاتبينله , زستريل و أدالات و إزيركس...بس هذين NA" و تشعر بها وكأنها تقول لك في قرارة نفسها انت وين عايش" و لأنك متأكد بما بقي من قواك العقلية أن هذه الأدوية كانت متوفرة إلى يوم أمس تطلب منها الذهاب للتأكد منها في دولااب الأدوية فتعود إليك قائلة "قالولي جابوهن بس مش امطلعين منهن للممرضات اللي كانن ماسكات في الليل و كلمتهم توا ايجيبونا توا" , و لأن كلمة "توا" التي ختمت بها جملتها ساهمت بشكل كبير في السيطرة على أعصابك فإنك تقرر فوراً مغادرة هذه الغرفة "النكد" و تتجه إلى غرفة أخرى "بلكي اتغير جو".

و اثناء انتقالك بين الغرفتين هناك بانتظارك "بريك إعلاني" يمد يده إليك بلا تردد و كأنه يعرفك من أيام العثمانيين " أهلا دكتور..أنا رعاي الوجدان مندوب شركة البرج المائل للأدوية ممكن ناخذ من وقتك خمس دقائق نبي نحكيك علي دوا جديد اسمه بسكوبان" فتضطر للابتسام و إبداء اهتمامك بهذا الدواء التحفة لأن "البنينات" التي تكتب بها في مرورك "هبة" من شركته و أن الشئ الوحيد الذي يمكن أن تحصل عليه من مجيئك للمستشفى هو بعض العينات المجانية منه و لكنك تعتذر له بأنك لديك "بعض" المرضى لتكمل مرورك السعيد عليهم فيتفهم الأمر بكل رحابة صدر "توا اندير لفة في المستشفى و اندرلك" يعني ما عندك وين هارب "جاك جاك" و بسرعة تدخل إلى الغرفة متمنياً أن يكون حالها أحسن من سابقتها, و تجد في الغرفة وجهاً جديداً (بالتأكيد حالة دخول جديدة) فتسأل طبيب الامتياز بكل براءة عنها "شنو الحالة هذي" فينظر إليك نظرة المتعجب و كأنك سألته عن عاصمة جزر الأنتيل "والله علمي علمك يا دكتور توا انشوفو الملف" و بعد فك طلاسم خط طبيب الديوتي تكتشف أن الحالة هي حالة التهاب مسالك UTI و تسأل طبيب الإمتياز "حاطينه علي مضاد حيوي؟" فينظر إلى ورقة العلاج و يجيبك "ايوة, روسيفين" و تدرك هنا أنه يجب أن "تحن" علي طبيب الإمتياز ببعض المعلومات لا, الروسيفين ما هوش أول خيار في الحالة هذي,

بس هضوما دكاترة الديوتي مش حافظين إلا الروسيقين, اكتبله سيبرو أحسن" فترد عليك الممرضة السيبرو NA يا دكتور" فينظر إليك طبيب الامتياز منتظراً رذك أوك مش مشكلة, الخيار الثاني هو الأوغمنتين أكتبه له" فترد عليك الممرضة الأوغمنتين كمل يا دكتور" و قبل أن ينظر إليك طبيب الإمتياز ثانية تجيب بدون تردد و أنت العليم بخيارات المضادات الحيوية أوك مش مشكلة, الخيار الثالث سيبترين" فترد عليك الممرضة و هي العليمة بالموجود من المضادات الحيوية السيبترين ما عا دش ايجيبو فيه" فتهمس إليها متمنياً أن لا يسمعك طبيب الامتياز "عندكم روسيقيين؟" و لن ينتظر طبيب الامتياز ردها فيعيد "فتح" خانة الروسيقين التي "سكرتها" أنت.

و لكنك لا تقرر النظر إلى ما حدث نظرة سوداوية على الأقل تعلم طبيب الامتياز أول دروسه العملية و هي أن كتب "دافيدسون" و "هاريسون" التي درسوها له في سنة خامسة هي مجرد قصص خيال علمي و أن الواقع ها هنا يرحب به, و عندما تقرر الإنتقال إلى المريض التالي تفاجئ بأن أحد مرضاك غير موجود و أن سريره خالي و لأن المريض المذكور حالته "مش ولا بد" فهو مصاب بالشلل التام تسأل الممرضة عنه متوقفاً أن يكون جوابها "اكسبايرد" أو "تزلوه للعناية" لكنها تفاجئك برد غير متوقع "اليوم ماشي ايدير MRI في الهواري" و لأتلك كنت تنتظر هذه اللحظة طويلاً فإنك تجد نفسك على وشك أداء رقصة "صلصة" مع طبيب الامتياز و تخاطب الممرضة لأول مرة هذا اليوم بما تستحقه على هذا الخبر السار "انت أحسن ممرضة في المستشفى ياريتك ديمما اتمري معانا, الله يبارك فيك, فرحتيني, انشالله ربي يفتح عليك و ابوقفلك سعدك, انشالله ربي...". و هنا يذكرك طبيب الامتياز (طبعاً لا يوجد أحد غيره معك في الراوند) انك تبالح قليلاً في إطرائك و دعواتك للممرضة فترد عليه قائلاً اسكت أنت مازلت صغير و توا تكبر و تعرف قيمة اللحظة هذي, هيتي ورقة العلاج اعلمه علي علاجه" طبعاً ما فيش ملف لان الملف ايصوروا فيه مع المريض, و بينما تقوم مزهواً "بالتشبير" على ورقة علاجه يفتح افراد التشاركية باب الغرفة ليضعوا مريضك الذي كان في ال MRI على سريره فتنظر إلى مرافقيه التسعة (الذين دخلوا معه الغرفة بالطبع) فتخاطبهم مبتسماً "ها...صورتوا...امالا جيتوا أول و حدين كملتوا بسرعة بسرعة" فينظر أحدهم إليك نظرة أسي (طبعاً عليك وليس على المريض) "لا ما صار شي..الحاج تحرك في الصورة و ما فيش عندهم طبيب تخدير", المريض تحرك؟؟ تي شنو تحرك و هو مشلول شل حياتهم", طبعاً هنا يجب أن تنسى ضبط النفس و كتم الغيظ فلا مكان لها داخل هذه الغرفة فقد استنفذت مخزونك منها في الغرفة الأولى, "باهي كيف ايصير توا" تتسائل سؤالك الأخير قبل أن تقوم بما كان يجب أن تقوم به منذ الصباح فيأتيك جوابهم قالولنا جيبوه الاسبوع الجاي و خلو دكتوركم ايدز معاه دكتور تخدير" طبعاً دكتورهم "اللي هو أنت" فاتح محل دكاترة تخدير.

و بسرعة و لأول مرة خلال مرورك تفهم الممرضة خطوتك التالية فتشير بإصبعها إلى الجدار المقابل لأنه أنظف جدران الغرفة فتجد نفسك تقوم بما كان يجب أن تقوم به منذ الصباح "تخبط

راسك في انظف ساس" و بعد عدة "خبطات" تشعر ببعض الارتياح و بالقدرة على مواصلة يومك السعيد و قبل أن يخبرك طبيب الامتياز أن "خبط الراس في الساس" ليس استجابة طبيعية للأحداث التي مررت بها اليوم فإنك تخبره (و أنت الخبير بذلك) أن ذلك صحيح و أن الاستجابة الطبيعية لما حدث هي البحث عن أقرب شيء قابل للعض لكن هذا التصرف (الذي قمت به في السابق) قد جلب عليك بعض المتاعب فاستبدلته "بخبط الراس في الساس" فبهز طبيب الامتياز رأسه و قد فهم ما تعنيه فلقد تعلم اليوم ما لن يتعلمه في أي مكان آخر..... و قبل مغادرتك الغرفة (فقد أكملت مرورك) تسأل الممرضة "هي التركيبة هذي من الساس نظيفة واجد كيف فطنتيها بسرعة" فترد عليك أصلاً أنا كلمت جماعة النظافة اينظفوها لك مخصوص" و هنا تشعر ببعض الرضا عن نفسك فهناك من يهتم لأمرك في المستشفى.

و عند مغادرتك الغرفة يخاطبك أحد الأقارب التسعة للمريض المشلول لكتور, مش ممكن تنقلونا الحاج إلى قسم الأشعة كم يوم بلكي يطلع يمشي؟" ...

مهمتك التالية أيضا تحتاج إلى دعاء مخصوص فأنت الآن متوجه إلى غرفة الأطباء لتناول وجبة الفطور و الطريق إلى الغرفة محفوف بالمخاطر: "توقيع روشيتة أعصاب", "شوفنا الحالة هذي العيادة القيتها امسكرة", "تكتب سكر بورت؟", "ماشفتش دكتور فلان-و معناها اخلقنا دكتور فلان", "دورنا العلاج هضا ما القيناش في الصيدلية" و إذا قدر لك تجاوز كل هذه الحواجز فإن كل ما تتمناه أن تجد "نصاً" ينتظرك في سلة الفطور لكن سرعان ما تتلاشى هذه الأمنية حين تجد الذين سبقوك إلى الغرفة و هم "يمصصون" شفاههم جالسين حول سلة الفطور الفارغة فتتظاهر حفظاً لماء وجهك أنك دخلت الغرفة للجلوس و الراحة فقط و تتحسر على الأيام الخوالي التي كانت فيها أعداد "أنصاص" الفطور مساوياً تقريباً لعدد أطباء القسم (أيام براد الشاهي الأصفر) عندما كان حقا في نص التن "المرصع بالماس" و الدحي "ذو الحواف الذهبية" محفوظاً, و تبدأ نفسك الأمانة بالسوء في سب و شتم المطبخ و الإدارة على تقليص كمية الفطور و جعلها "نص" واحد لكل أربعة أطباء.

غير أنك سرعان ما تنتبه إلى ضيق أفق تفكيرك و إلى قصر نظرك في هذه الأمور فهذا التقليص لم يكن بغرض التوفير و ليس سببه "الميزانية" أو الحسد على هذه النعمة و لكنه كان نتيجة دراسة و بحث و تمحيص و تشكيل لجان و اجتماعات و مهمات داخلية و خارجية, فالأمر خاضع لقانون العرض و الطلب فعندما كان هناك "نص" لكل دكتور تساوى العرض مع الطلب و هو أكبر الأخطاء التي تقع فيها الكثير من الدول النامية غير الخبرة بقواعد الاقتصاد الرأسمالي العالمي فأدى هذا التساوي بين العرض (أي الأنصاص) و الطلب (أي دكاترة الباطنة) إلى حالة "تضخم اقتصادي" فارتفع اليورو أمام الدولار و اضطر المصرف المركزي الأوروبي إلى تخفيض أسعار الفائدة للتقليل من الآثار الاقتصادية لهذا الارتفاع, غير إن استمرار تدفق أنصاص التن و الدحي بنفس المعدل إلى

حجرة دكاترة الباطنة قلل من التأثير المتوقع لقرار تخفيض أسعار الفائدة فاستمر ارتفاع سعر اليورو مما اضطر شركة جنرال موتورز الى قفل ثلاثة من مصانعها في اوروبا و تسريح نحو 6,000 عامل الأمر الذي استدعى عقد اجتماع تقابلي عاجل بين مجلس مديري البنك الدولي و صندوق النقد الدولي مع ممثلين من مستشفى 7 أكتوبر و تقرر خفض عدد أنصاف التن و السدحي بنسبة 75 % الأمر الذي ساهم في استقرار أسعار اليورو....

و بعد أن تلوم نفسك على "تيتها السودا" تقرر بدء رحلتك التالية و هي رحلة البحث عن مكان للجلوس لأن غرفة الأطباء تم تصميمها أصلاً لتكون "مشتى" و ليس "مصيف" و خبرتك في الأماكن المحتملة لجلوسك تختار غرفة المكتبة لكونها أكثر الأماكن أماناً (وإن كانت الأماكن كلها مشتاقفة ليك) و هناك بعد حمد الله على أن أبواب المكتبة مفتوحة تتذكر أن لديك محاضرة (توتوريال) ستقدمها غداً فتقرر البحث عن ضالتك بين كتب المكتبة و لأن مواضيع محاضراتك دائماً من النوع النادر و "الصقع" لا تجد شيئاً من مبتغاك فعليك البحث في الانترنت و قبل ذلك عليك البحث عن الانترنت فهي بكل تأكيد غير موصولة للمكتبة (المكتبة للكتابات) و أن أجهزة الكمبيوتر الخاصة بالمكتبة قادمة في "الشحن" و لكن البحث عن الانترنت في المستشفى ليس بالأمر الصعب فهي موجودة في كل المكاتب من مكتب المدير إلى مكتب سكرتيرته إلى مكاتب الشؤون الإدارية و المالية و الطبية و مكاتب رؤساء الأقسام و حتى المطبخ و كل ما عليك هو "شحنة" عشر دقائق للبحث عن موضوعك و عندما تقرر التطفل أخيراً على أحد الموظفين فإنه لا يمانع إطلاقاً في إعطائك عشر دقائق كاملة بكل رحابة صدر بعد أن يسارع في حركات خفيفة إلى إقفال كل صفحات الانترنت التي كان يتصفحها و عندما تبدأ في البحث عن موضوعك الطبي الذي تعتقد أنه هام تكتشف أن صاحبنا كان يستعرض مواضيع أكثر أهمية في مواقع على شبكة www.***.com و www.*****.com بل و حتى www.*****.com (طبعاً لا حياء في الطب) و عندما تجد موضوعك "التافه" و تأخذه على "الFLASH" تشكر صاحبنا على كرمه و وسعة باله و تعتذر له عن "التعطيل" في شغله.....

ثم تعود لتستطلع أحوال القسم فتلمح الممرضة و هي تقطع الممرات جيئة و ذهاباً ملوحة بملف يساراً و يميناً فتيقن أن هناك حالة دخول و أنه لا يوجد سواك "ايشوفها" و انت "سيد الشوافين" و لكي تكسب بعض الوقت تخاطبها قائلاً "خلي طبيب الامتياز ياخذ منه الهستوري و بعدين اتجي تشوفه" فتدرد عليك بنبرة تذكرك بنبرة والدتك عندما تسألها "حوي الصغير جاب الخبزة والا لا" قائلة طبيب الامتياز,,, تي فرقت,, هضا روح من بدري" و تنظر بسرعة إلى ساعتك فتجدها قد قاربت الثانية عشر فتقول لنفسك "تي باهي اللي تحمل القعدة لعند تورا" و تأخذ منها الملف ذليلاً مكسوراً لتبدأ رحلة أخذ التاريخ المرضي و الفحص السريري للمريض و بعد قرابة ساعة من ذلك تيقن أن حالة المريض جراحية و من المحتمل أنه يعاني من التهاب حاد في البنكرياس فتنادي

المرضة نزلته انديروله صورة تلفزيون عاجلة و أسحبي منه انزيمات البنكرياس" و تظل منتظراً
عودتها في حجرة التمريض و لا يطول انتظارك حتى تبشرك قائلة لكتور الأشعة روح من الساعة
11 و التحليل قالولي المعمل ما نستقبلوش بعد الساعة 11" فتلعن الساعة 11 و سنين الساعة 11
ياهي جبيلي ورقة استدعاء عاجل لكتور الجراحة" فتمد اليك الورقة مخاطبة إياك "بس كن تبينه
ايحيك توا انزل أنت كلمه و إلا مش حيبي إلا في العشية"

و لأن معارفك في قسم الجراحة كثر فإنك تعود بصحبة أحدهم و تدخل معه غرفة مريضك فيختصر
طبيب الجراحة كل جهدك في الهستوري و الفحص في ثانيتين يضع خلالهما يده على بطن المريض
فيوافقك في التشخيص و يقول لك انديروله صورة تلفزيون عاجلة و أسحبوله انزيمات البنكرياس"
فتخبره بصعوبة هذا الطلب في الأوضاع الراهنة فيقول لك اوك نزه ايديرهن بره و إلا نرجو لعند
بكره" و عندما تتعجب من اقتراحه و تسأله ياهي توا مش حالته حالة جراحة؟ نزلوه عندكم في
الجراحة و كملوا معاه اتم" فيرد عليك برود لالا..انتو خلوه عندكم و احنا انجو انشوفوه كل يوم"

و لأنك مصاب بعسر هضم لمثل هذا النوع من الكلام تقرر التصرف بمسئولية و الاتجاه مباشرة
لتشكو الأمر إلى مدير المستشفى فهو طبيب و جراح و سيتفهم بكل تأكيد طبيعة الحالة و حالما
تتمكن من الدخول إلى مكتبه متجاوزاً كل الحواجز الإدارية بلياقة تضاهي لياقة "كولين جاكسون" و
ما أن يلمحك المدير عند باب مكتبه حتى ينظر سريعاً إلى السقف طالباً الرحمة و اللطف من ربه ثم
يخاطبك "خير يا دكتور" و هي عبارة استهلاكية ليس معناها "خير يا دكتور شنو حالك" و لكن يعني
بها "خير يا دكتور شنو فيه" لأنه يعلم علم اليقين من زيارتك شبه اليومية لمكتبه أنه "ما ايجيش
من وراك خير" و بعد أن تشرح له القصة برمتها يخاطبك قائلاً لالا..عندك حق يا دكتور" و يرفع
سماعة الهاتف ليطلب من طبيب الجراحة نقل المريض فوراً إلى قسم الجراحة و هنا تكمن العبقرية
الإدارية في حل المشاكل فهو بمكالمة واحدة حل مشكلتك فالمريض لم يعد "في رقبته" و حل
مشكلته هو أيضاً فالمريض لم يعد مريضك "تسكن" له يومياً بشكاويك و نكدك ..إلا إن المشكلة
التي لم تحل هي مشكلة المريض فهو سيقبع في قسم الجراحة بدون صورة تلفزيون عاجلة و بدون
تحليل إنزيمات البنكرياس و ستسمع في الغد أن أهل المريض أخرجوه على مسئوليتهم بعد أن
تدهورت حالته و نقلوه إلى إحدى المصحات الخاصة لاستكمال العلاج أو لاستكمال حياته.....

و تخرج من الإدارة و قد حققت انتصاراً آخرأ تضيفه إلى انتصاراتك الجبارة في يومك السعيد هذا،
و عند توجهك عائداً إلى مبنى المستشفى يقابلك في موقف سيارات المستشفى أحد زملائك من
الأطباء الذي يأخذك بالأحضان و يسلم عليك بابتسامة عريضة فهو لم يرك منذ مدة طويلة و بعد أن
يسألك عن أخبارك و أحوالك دون أن يعطيك فرصة للإجابة يبدأ "ايهدرز عليك" و يخبرك عن فوز
البرازيل على الارجننتين (طبعاً انت ناقصك هم) و عن الفشل المثير لعملية هروب السجناء في

Prison break و عن السيرك الإيطالي اللي اطلعوا توانسة و عن لذة شاورما الحطاب فتستغرب من وجود طبيب في مستشفى 7 أكتوبر "جوه سمح" و تقول في نفسك أنه بالتأكيد إما طبيب جراحة أو طبيب أسنان لكنه سرعان ما يذكرك بأنه طبيب باطنة مثلك و أنه يعمل في نفس الوحدة التي تعمل فيها منذ 6 أشهر عندما يسألك سؤاله المعتاد "ها...شنو أخبار اليونت؟" فهذا السؤال هو علاقته الوحيدة باليونت أو الوحدة و قبل أن تخبره بأخبار اليونت النكدية يستطرد قائلاً بجملته المعهودة "بلكي نبدا أمعالم الأسبوع الجاي" و تذكر دوماً أنه قال "بلكي" و الراجل ديما عند كلمته ثم يقول لك أنه اليوم ماشي لاجدابيا و بكرة للبريقة و بعدها للمرج و ممكن عنده مشية بعد يومين للكفرة فتضطر إلى هز رأسك بقوة لتذكر نفسك أنك تتحدث مع طبيب باطنة و ليس مع إحدى طائرات البراق, ثم يودعك قائلاً "خلينا انشوفوك"

وهنا تكتشف السبب الرئيسي وراء كون جوه سمح و جوك نكد , انه العمل في المستشفى على أغلب تقدير و لذلك تتخذ قرارك التاريخي بطلب إجازة لمدة أسبوعين لتفرهد عن نفسك شوية و تتجه مباشرة إلى مكتب رئيسك حاملاً طلب إجازتك فيستقبلك بكل ود و ترحاب فأنت في نظره الطبيب المواظب و النشيط الذي يجب أن تكون طلباته أوامر و عندما تمد إليه طلب الإجازة و هي أول إجازة لك منذ 3 سنوات يخبرك بحقك القانوني في الإجازة و بحقك "الأخلاقي" فيها كونك من أفضل أطباء القسم لكنه يذكرك بتوقيت الإجازة السيئ (دائماً ما يكون توقيتك سيئاً) و عن ما يجب أن تتخيل حدوثه في حال غيابك عن وحدتك ليوم واحد (فما بالك بأسبوعين) من انتهاكات لحقوق المرضى و من مذابح جماعية في الأقسام فتسحب بصورة لإرادية و بسرعة طلب إجازتك خوفاً من المثول أمام محكمة الجزاء الدولية و تغادر المكتب مقتعاً نفسك "شنو نبي اندير بيها الاجازة..أصلاً ما عندي وين نمشي"

ثم تنظر إلى الساعة فتجدها قد تجاوزت الثانية و تقرر المغادرة فوراً فلا تتوقع مزيداً من الأحداث السعيدة لأن يوم عملك قد انتهى و هنا تحمد الله على أنه بكل تأكيد كان أفضل من سابقه.. و تتجه إلى سيارتك في الموقف المقابل للمستشفى (المفروض أنه تابع للمستشفى) سعيداً لكونك لن تضطر إلى المشي مسافة طويلة للوصول إلى سيارتك كما فعلت بالأمس و بعد أن تجلس في السيارة و تستمتع بالتكييف بداخلها تفاجئك بعض الطرقات على زجاجها, فتفتح زجاج السيارة ليمد أحدهم يده أمام وجهك حاملاً ورقة بيضاء صغيرة كتب عليها "جهاز منتزهات بنغازي" فتهمز رأسك بقوة للتأكد من المكان الذي ركنت فيه سيارتك (انا في البوسكو و إلا المستشفى) و لكنه يقطع تفكيرك قائلاً "خمسين قرش يا استاد" و في هذه اللحظة تدرك أنك لم تتخلص كلياً من عادة العض...دكاترة اليلاستك عيش قاعدين؟